عودة المومياء

محمود سالم

عودة المومياء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عودة المومياء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٨٩٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الساعة العاشرة!	١١
إيطاليا من جديد!	١٥
المفاجأة!	٢١
الكمين!	٢٧
مارك وصموئيل وجهًا لوجه!	٣٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الساعة العاشرة!

في تلك الليلة، كان السكون والهدوء والسماء الصافية التي تلمع على صفحتها الزرقاء، النجوم تُخيم على الكهف السري، بينما غرق الشياطين في تأملاتهم، وكانوا في تلك اللحظة يجلسون في البهو الواسع في الطابق الثاني، يستمتعون بالأضواء الخافتة، والموسيقى الهادئة التي تجتاح المكان بعبق السكينة والارتياح.

كان «أحمد» يجلس مائلًا إلى الخلف بكرسيه، وبجانبه «بو عمير»، بينما جلس بقية الشياطين في وضع دائري، وأخذوا جميعًا يتأملون النجوم، ويحصون عدد نجمات الدب الأكبر والأصغر السبعة حين صاح «عثمان» قائلًا: لقد ذكَّرتني نجوم السماء الآن بالمغامرة السابقة «صفقة الأسلحة»، لقد كانت غريبة فعلًا، ولعلنا جميعًا لن ننسى الخطأ القاتل الذي وقعنا فيه حين اتفقنا في وقت واحد على صفقة «الكلاشنكوف» التي أوقعتنا في ورطة؛ مما جعل زعماء عصابات الأسلحة يشكُّون فينا، ويلقون القبض على مجموعتَينِ منا.

عندئذٍ قال «أحمد»: ما تقوله صحيح يا «عثمان»، إن خطأً واحدًا كفيلٌ بأن يهدم ما بناه الإنسان طوال عمره، وهذا ما يسمونه الخطأ القاتل.

تدخَّلَتْ «إلهام» في الحديث قائلةً: إنني لن أنسى منظر الأُسُود الجائعة، والفئران المتوحِّشة، وهي تحومُ حولنا في القفص الحديدي الضخم «زنزانة الموت والرعب».

ضحك «قيس» وهو يقول: إن معظم العصابات في شتى أنحاء العالم يتفنَّنُون في وسائل التعذيب، بل إن هناك أشخاصًا مهمتهم ابتكار أساليب جديدة لتعذيب الأشخاص لإجبارهم على الاعتراف.

قال «أحمد»: إنني لن أنسى كرسي الاعتراف ... الذي يكشف الكذب ... لقد حاولتُ مرتَينِ كسْبَ بعض الوقت لحين وصول مجموعة «عثمان» من «فرنسا» دون جدوى، فما

إن أتحدَّثُ حتى تُضاء بعض اللمبات الحمراء، ويصرخُ جهازٌ صغير مُثبَّتٌ على الكرسي، ليُعلن فورًا أن ما أقوله ليس حقيقيًّا.

اشتركَتْ «هدى» في الحديث وهي تقول: فعلًا، لقد كانت هذه اللحظات من أصعب ما واجهنا أثناء مغامراتنا، رغم كثرة المواقف الصعبة الأخرى التي كثيرًا ما قابلتنا.

سكتَ الشياطين لحظاتٍ عَلَتْ فيها أصوات تأتي من بعيد، ثم اقتربَتْ من الكهف السري، ولم تمضِ سوى دقائقَ حتى دوَّى رنين الأجراس، وجاء الصوت عَبْر سماعات الإذاعة الداخلية للكهف، يُعلن لقاء الزعيم بعد عشر دقائق.

نظرَ الشياطين بسرعة إلى ساعاتهم الرقمية، وكانت مضبوطة على رقم ٩,٥٠ باللغة الإنجليزية، ابتسم الشياطين وهم يردِّدون: العاشرة أيضًا، ولكن هذه المرة مساءً!

كانوا قد اعتادوا جميعًا على لقاء الزعيم في العاشرة صباحًا، فقال «عثمان» وهو يتأهب للقيام من على كرسيه: لعلنا محظوظِينَ من الرقم «١٠».

فأجابه «بو عمير» وهو يضحك: إنه رقم «سوبر».

وابتسم الشياطين وهم يتوجَّهُون إلى قاعة الاجتماعات الكبرى بالطابق الثاني للمقر السري. كانت الساعة تُشير إلى العاشرة تمامًا حين جلس الشياطين على مقاعدهم الدائرية في قاعة الاجتماعات الواسعة المزودة بشاشة عرض سينمائي عملاقة، وسرعان ما سمعوا جميعًا صوت الأقدام التي اعتادوا سماعها، وتوقَّفَ الصوت خلف المنصة الزجاجية ذات اللون الداكن، ثم أُطفِئَت الأنوار ليسود الظلام لحظات، أُضيئَت بعدها شاشة العرض العملاقة ليظهر عليها مجموعة من الأشخاص ركَّزَت الكاميرا عليهم كثيرًا ... وانتقلت بعدها على مجموعة من الآثار الفرعونية الجميلة ... تمثال للملك «رمسيس» الثاني، أعظم ملوك مصر القديمة، ثم تجوَّلَت الكاميرا على الأهرامات العملاقة، وبجانبها تمثال «أبو الهول» الذي يحمل وجهَ آدميٍّ، وجسدَ أسدٍ ... وأخيرًا انتقلت الكاميرا على وجوه بعض التماثيل، عرفها الشياطين على الفور فهي لـ «توت عنخ آمون» أو ابن الشمس العظيمة، ثم على وجه «ست نفرت»، سِت الحُسن، وأقرب الزوجات إلى قلب الملك «رمسيس» الثاني، وانتهَتْ جولة الكاميرات بالتركيز على الملكة «حتشبسوت»، صاحبة الفتوحات والغزوات التي وصلَتْ إلى مشارف بلاد النوبة والسودان، قبل أن تتوقف نهائيًّا على وجه أحد التماثيل الصغيرة المجهولة، فلم يعرفها أحد من الشياطين.

انتهى الفيلم التسجيلي، وتوقف صوت ماكينة العرض لتنطفئ الشاشة العملاقة، ويسود الظلام من جديد جنبات القاعة قبل أن تُضاء الأنوار، ويغمر ضَوْؤُها المكان، ويأتي

بعدها صوت رقم «صفر» وهو يرحِّب بالشياطين ويقول: «مرحبًا بكم أيها الشياطين.» ويكمل: لقد أنهيتم مغامرتكم السابقة «صفقة الأسلحة» بكل نجاح، رغم الخطأ الفادح الذي وقَعْتُم فيه، وكاد أن يسبب لكم حَرَجًا بالغًا، ولعله يكون الخطأ الأول والأخير ... فالمفروض ألا تُخطئوا أبدًا ... وأنتم تعرفون جيدًا أننا نعتمد في حساباتنا على أخطاء الآخَرِينَ، وندرس خططنا جيدًا، بحيث لا نضع في الحسبان أيَّ خطأ لنا.

سكت رقم «صفر» لحظاتٍ قبل أن يقول: إن أمامكم مغامرة من نوع جديد، ولكنها في منتهى الأهمية والخطورة، ولعلكم عرفتم من خلال بدايتنا المفاجئة بالعرض السريع لبعض آثار مصر الفرعونية أن المغامرة القادمة ستكون بشأن هذه الآثار.

ثم أكمل رقم «صفر» حديثه قائلًا: إنكم تعرفون جيدًا حيرة كل العلماء — وأنا أقصد علماء الغرب على وجه التحديد — بسبب هذه الآثار، وأنتم على يقين بكل محاولات السرقة التي تمَّتْ لهذه الآثار بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة، وهذا جانب، أما الجانب الآخَر فهو خطير فعلًا، أن يتحول اهتمام هؤلاء العلماء إلى قضية التحنيط التي عجزوا عن تفسيرها حتى الآن.

صمت رقم «صفر» طويلًا قبل أن يُكمل حديثه قائلًا: لقد استطاعَتْ إحدى عصابات الآثار سرقة مومياء لفتاة رومانية، وهي التي ركَّزَتْ عليها الكاميرا في نهاية الفيلم.

إن هذه الفتاة مُحنَّطة بنفس طريقة قدماء المصريِّينَ، ولعلكم تعرفون أن العصر الروماني كان آخِر العصور الفرعونية، ويسمونها «العصور المتأخرة»، رغم أنها آخِر العصور، ولعل كلمة «متأخر» كان مقصودًا بها التأخُّر في كثير من الصناعات، سواء التي تخص الناحية المعمارية أو الفنية.

المهم أن هذه العصابة قد استطاعَتْ سرقة هذه المومياء بسرية تامة، ثم راحت في إعلان المزاد عليها سرًّا.

وقد سارعَتْ أكثر من جهة طبية للحصول على هذه المومياء، حتى وصل سعرها إلى أكثر من مليون دولار، وسكت رقم «صفر» مرةً أخرى قبل أن يقول: لا تتعجبوا من سعر هذه المومياء؛ فالسبب معروف، وهو إجراء بحوث عليها لمعرفة سر التحنيط الفرعوني، وهذا سيدفعهم بكل تأكيد لتشريحها وأخذ عينات منها لتُفحَص مجهريًّا؛ ليتوصلوا إلى سِرِّ المادة التي تجعل هذه الجثث الآدمية محتفِظة بكل صفاتها الشكلية، برغم مرور أكثر من سبعة آلاف سنة عليها.

يكمل رقم «صفر» حديثه قائلًا: إن عودة هذه المومياء أمر ضروري وحيوي جدًّا ... لسببَينِ، كلاهما أقوى من الثاني ... السبب الأول: هو غيرتنا على أجدادنا، وهل منكم مَن يتخيل العبث الذي يتم على هذه الجثث بعد دفنها منذ عُمر طويل؟

ثم ثانيًا: إنها ستكون السابقة الأولى من نوعها، وقد تتلوها سوابق أخرى، إن معناها العميق هو دفن حضارة شعب بأكمله، حضارة عمرها ٧ آلاف سنة.

ويصمت رقم «صفر» طويلًا قبل أن يُنهي الاجتماع قائلًا في حِدَّة: «أيها الشياطين ... أتعرفون كم تُساوي عملية سرقة مومياء وعرضها للبيع بهذا الثمن؟ إنها تساوي كرامة وكبرياء الدول العربية كلها، بل وما فيها من حضارات قديمة أذهلَتِ العالم ...» ثم دوَّت كلماته الأخيرة مع أطراف أقدامه وهي تبتعد: «إن عودة المومياء كأنها عودة الروح لنا».

تركَتْ كلمات رقم «صفر» صدًى عميقًا في نفوس الشياطين، وعرفوا على الفور أن القضية كبيرة فعلًا حتى يصفها الزعيم بهذا الوصف، ومعناه أننا لسنا أحياء ما دامت هذه المومياء مسروقة، ولن تعود لنا الروح إلا بعودتها.

كان من الواضح أن رقم «صفر» متأثرًا بسرقة هذه المومياء، فهذه حادثة فريدة من نوعها لم تحدث من قبل، وهي ليسَتْ حادثة فردية تخص أحد الأفراد، ولكنها حادثة تخص تاريخ وحضارة شعوب ... إن الشعب المصري بالذات صاحب هذه الحضارة العريقة هو المقصود على وجه التحديد بهذه السرقة، ولذلك فقد كان الموضوع يمضي سرًّا لا أحد يعرفه.

نهض الشياطين ورءوسهم تعج بالأفكار وتمتلئ بالصور والخيالات، فكيف تتم سرقة مومياء بالكامل؟! وكيف تم التدبير لذلك؟!

كان من الواضح أن هذه المغامرة غريبة وفريدة من نوعها، وكان من الواضح أيضًا أن المغامرة لن تنتهي إلا بعودة المومياء المسروقة قبل فوات الأوان.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساءً، حين توجه الشياطين إلى فراشهم دون أن يتبادلوا الحديث مع بعضهم كالعادة ... لقد أخذتهم طبيعة المغامرة الجديدة والغريبة، فجعلتهم في وضع التفكير الفردي، فلم يتحدث أحد مع الآخَر، ثم خلدوا جميعًا إلى النوم، وقد عَلِقَت التساؤلات برأسهم.

وأتى الجزء الأخير من الليل على الكهف السري، فغرق الجميع في سبات نوم عميق، عدا نوبات الحراسة التي ظلَّت تجوب المكان طوال الليل وحتى يحين موعد إشراق الشمس بخيوطها الذهبية لتكسو المكان بالحياة ... لتُعيد دقات القلب إلى المكان الهادئ الذي ظلَّ طوال الليل ساكنًا لا يتحرك.

إيطاليا من جديد!

بعد أن انتهى الشياطين الـ «١٣» من تدريبات الجَرْي حول مضمار الكهف السري، توجهوا جميعًا إلى تناوُل طعام الإفطار بسرعة قبل أن يحين موعد لقاء الزعيم في التاسعة صباحًا، لكنهم علموا أن الاجتماع قد تأجَّل للسابعة مساءً، فتوجهوا بعد ذلك إلى القاعة الكبرى، وجلسوا لمشاهدة أحد الأفلام البوليسية، كانت أحداث الفيلم تحكي عن كيفية اقتحام قلعة محاطة بالأسلاك الشائكة التي تتصل بمصدر كهربائي، وفي الوقت نفسه مزودة بأجهزة إنذار في غاية الدقة ... كان فيلمًا تسجيليًّا لتدريب قوات البوليس في إحدى الدول المتقدمة، ليتعلم الشياطين منه أحدث الطرق والوسائل التي توصَّلَتْ لها تلك الدول لمواجهة العصابات وتجار المخدرات.

قضى الشياطين أكثر من ساعتَينِ، استمتعوا خلالها بأحداث الفيلم الغريبة ... وذهبوا بعدها لمواصلة تمارين ألعاب الدفاع عن النفس «الكاراتيه» و«الجودو»، واستمر المران أكثر من ثلاث ساعات، وكانت الحركة الجديدة التي يتعلمها الشياطين هي كيفية مواجهة أحد الأفراد لمجموعة من الرجال المسلَّحِينَ دون أن يُصاب بأذى ... وكان «بو عمير» و«أحمد» و«عثمان» أول مَن حفظ هذه الحركة الصعبة التي تتطلب الدقة والمرونة والقوة في الوقت نفسه.

كانت الساعة تقترب من الثالثة عصرًا حين أنهى الشياطين تمارين الدفاع عن النفس، وبدءوا في الاستعداد للاجتماع بالزعيم رقم «صفر» في الرابعة بعد أن تغيَّر الموعد للمرة الثانية.

كان من الواضح أن رقم «صفر» في عجلةٍ من أمره، وهذا ما ظهر عند اجتماعه بالشياطين من خلال نبرات صوته التي أَتَتْ سريعة متلاحقة ... وقال: معذرة أيها الشياطين لتأجيل الاجتماع للسابعة مساءً ثم تقديمه مرة أخرى ... والآن فلنبدأ في سرد تفاصيل

المغامرة القادمة، فقد حان الوقت لتتحركوا قبل أن تُباع المومياء ويصعب علينا العثور عليها مرةً أخرى، فنحن نعلم الآن أين هي ... وقد يطول الوقت بنا لنعلم أين اتجهَتْ لو حدث وبِيعَت للجهة الطبية التي تحاول بكل الوسائل الحصول عليها بأي ثمن.

صمتَ رقم «صفر» قليلًا، ثم قال بعدها: إن المعلومات التي لدينا الآن تقول إن مومياء الفتاة الرومانية موجودة الآن بـ «إيطاليا» ... تحت سيطرة عصابة تُطلق على نفسها اسم «المنتقمون»، ورغم حداثة هذه العصابة إلا إنها في غاية القوة والجبروت، ويكفي أنها استطاعت سرقة خزانة أكبر بنك بـ «فرنسا» دون أن يتم القبض على أي فرد من أفرادها، وهي بلا شك في منتهى الخطورة ... ولعل أهم ما يميزها طُرقُ التمويه التي تُتقنها ببراعة؛ فكثيرًا ما خَدعَتْ رجال البوليس في أكثر من دولة.

ويكمل رقم «صفر» حديثه: إن زعيم عصابة «المنتقمون» رجل عسكري قديم ... شارك في أكثر من حرب واكتسب خبرة كبيرة منها، وجنسيته من دولة شديدة الكراهية للعرب؛ ولذلك فمعظم نشاطه يتركز في الدول العربية ... وله أعوان كثيرون يساعدونه بكل إخلاص وتفانٍ لازدواج المنفعة؛ فهم يتقاضون رواتب وعمولات ضخمة، فضلًا عن عدائهم للعرب ... يصمت رقم «صفر» لحظات، قال بعدها: إن عصابة «المنتقمون» كبيرة، وليس لها مكان مُحدَّد، ومن المعلوم أنها تركِّز معظم نشاطها في «إيطاليا»، وهي بكل تأكيد لها صلة بعصابات «المافيا» الشهيرة.

يصمت رقم «صفر» مرةً أخرى، وينهمك في تقليب بعض الأوراق أمامه، ثم يتوقف فجأة ليقول: معي تقرير كامل بالصور عن أبرز رجال عصابة «المنتقمون» وسيكون بين أيديكم بعد هذا الاجتماع، والمطلوب منكم تحديد أسماء المسافرين للمهمة، وأقترح ألا يقل العدد عن خمسة، على أن يكون باقي الشياطين في حالة تأهُّب قصوى تحسُّبًا لما ستسفر عنه الأحداث القادمة.

وسكت رقم «صفر»، سمعَ بعدها الشياطين صوت أقدامه وهي تبتعد عن المنصة، فعرفوا أن الزعيم قد انصرف ... فنهضوا جميعًا واتجهوا إلى غرفهم.

كانت التقارير المُصوَّرة التي أُعِدَّتْ عن عصابة «المنتقمون» بانتظارهم، فانهمكوا في دراستها ومعرفة كل تفاصيلها.

قال «أحمد» وهو يمسك بصورة أحد الأشخاص: هذا هو «صموئيل»، وتُنطق هكذا بالعبرية ... زعيم عصابة «المنتقمون»، والتقرير المرفق للصورة يقول: «العمر خمس وستون عامًا، الطول ١٧٥سم والوزن ٧٥ كيلوجرامًا، وهو قويُّ البنية، رغم قصره النسبي،

و«صموئيل» يتحدث أكثر من لغة وهو شديد الذكاء ... حاد اللهجة والمزاج، ونادرًا ما يبتسم ... وهو يجيد استخدام السلاح بشتى أنواعه، وخاصة المسدسات الصغيرة التي يحمل منها اثنَينِ دائمًا، حتى إنه ينام بهما.»

سكت «أحمد» وهو يُلقي بالتقرير جانبًا، في الوقت نفسه الذي قال فيه «بو عمير»: «وهذا هو «ماهير» أقرب أعوان «صموئيل» وهو قصير القامة كما أظهرته الصورة، كثيف الشعر، أزرق العينَينِ، وبه علامة مميزة على جانب وجهه الأيسر إثر جرح غائر قديم، لم تَمْحُهُ السنين، ويعتمد عليه «صموئيل» كثيرًا لقدرته الفائقة في عقد الصفقات، وإنجاز المهمات الصعبة ... وهو يتحدث بأكثر من لغة أيضًا، ويستخدم يده اليسرى كثيرًا، وخاصة عند استخدام السلاح الذي يجيد استخدامه إجادة تامة.»

وما إن انتهى «بو عمير» من حديثه عن «ماهير» حتى صاحت «إلهام» وهي ترفع صورة لإحدى السيدات وتقول: إن ملامحها تكاد تكون شرقية، هذه الماكرة «مادلين»، والتقرير المرفق مع صورتها يقول: ««مادلين» أو «هيه»، ٢٨ سنة ... وهي من نفس جنسية «صموئيل» ولها علاقة وثيقة به، وهي شديدة الغيرة عليه، مما يجعلها عصبية جدًّا أحيانًا ...»، وأكملت «إلهام»: «و«مادلين» لها أثر كبير على «صموئيل»، فهي قادرة دومًا على إقناعه بأشياء كثيرة لا يوافق عليها ... فهي ليست سكرتيرته فقط، ولكنها واحدة من أفراد العصابة، ولها نفوذ كبير برغم صغر سنها.»

انهمك الشياطين في دراسة التقارير، فسرقهم الوقت دون أن يشعروا، حتى دقَّتْ ساعات المقر الحائطية، تُعلن الساعة الآن الثانية عشرة، فذهبوا جميعًا إلى فراشهم، وقد كسَتْ وجوههم علامات التحدي والإصرار ... في الصباح الباكر، استيقظ الشياطين مبكرًا كالعادة، واتجهوا بسرعة إلى مضمار الكهف السري ليقوموا بتمارين الصباح اليومية التي تجعلهم في لياقة عالية، وما إن فرغوا منها حتى سارعوا لتناول طعام الإفطار قبل أن يستدعيهم رقم «صفر» إلى القاعة الصغرى لمناقشة خطة السفر، وحول المائدة المستديرة المواجهة لمنصة الزعيم الزجاجية ... جلس الشياطين لحظات قبل أن يسمعوا أقدام رقم «صفر» وهي تقترب من المنصة.

حيَّا الزعيم الشياطين بسرعة، ثم قال متسائلًا: هل حدَّدْتُم المجموعة المسافرة إلى «إيطاليا»؟

قال «أحمد» مجيبًا على تساؤل رقم «صفر»: مجموعة الشياطين الـ «١٣» في تمام الاستعداد، وأيُّ خمسة منهم قادرون على القيام بالمهمة.

قال رقم «صفر»: أعرف ذلك يا «أحمد» ... ولكنني أردتُ معرفة الأسماء بالتحديد لترتيبات السفر التي تلزم معرفة الأشخاص أولًا.

قال «أحمد»: إننا لم نتفق على مجموعة مُعيَّنة حتى الآن، وسنترك لك اختيار ذلك.

ضحك رقم «صفر» ضحكة قصيرة، ثم قال: لعلها من المرات النادرة التي أتدخل فيها لاختيار أفراد المغامرة ... وأكملَ رقم «صفر» قائلًا: أعرف أنكم جميعًا تريدون الذهاب إلى «إيطاليا» والعودة بالمومياء، ولكن المغامرة لا تحتاج إلا إلى خمسة أفراد فقط، على أن يظل الباقي في حالة استعداد دائم.

قال «أحمد» مخاطِبًا رقم «صفر»: متى سيكون السفر؟

أجاب رقم «صفر» قائلًا: سيكون في الغد على الأكثر، ثم أكمل: وإنني أقترح الأسماء الآتية: «أحمد»، «عثمان»، «فهد»، «بو عمير»، «إلهام»» ... وصمت رقم «صفر» لحظات قصيرة، قال بعدها: إن رجالنا في «إيطاليا» سيكونون بانتظاركم غدًا في العاشرة مساءً ... وسيكون السفر في الساعة السادسة، ومنهم ستعرفون أشياء كثيرة ستفيدكم بكل تأكيد في هذه المغامرة.

أكمل رقم «صفر»: وفور هبوطكم من الطائرة ستجدون إحدى الفتيات بانتظاركم، وهي سمراء اللون ترتدي ملابس بيضاء، وتضع على عينَيْها نظارة طبية، وتمسك بوردةٍ حمراء بيدها اليسرى، ثم تقترب منها «إلهام» وتقول لها بالإنجليزية: «شكرًا» فلن تجيب عليها «ساندرا» (وهو اسم الفتاة)، بل ستقرِّب الوردة إلى أنفها، ثم تبتسم وتنصرف إلى خارج المطار حيث تكون السيارة بانتظاركم.

صمت رقم «صفر» مرةً أخرى، قال بعدها: لا تنسوا أن مهمتكم مُحدَّدة، وهدفكم هو عودة المومياء المسروقة فقط، أما عصابة «المنتقمون» فلا دخل لكم بها حتى لا تواجهوا مزيدًا من الصعوبات ... وأكمل رقم «صفر»: فليس من الضروري القبض عليهم، وإنما عودوا بالمومياء فقط، وتحاشوا قَدْر المستطاع الصدام معهم، فقد يستنجدون بأحد أفرع عصابات «المافيا» هناك، وهو أمر وارد، فلهم مصالح مشتركة، وعلى وجه التحديد في مدينة «كالياري» التي يتركَّز فيها وجود رجال «المافيا»، لقربها من جزيرة «صقلية»، منشأ عصابات «المافيا» الشهيرة.

سكت رقم «صفر» لحظات قصيرة ... ثم قال بعدها: كونوا حذِرِينَ ... مع أمنياتي لكم بالتوفيق.

سمع بعدها الشياطين صوت أقدامه المنصرفة بانتظام، فعرفوا أن الزعيم قد غادر القاعة، فنهضوا بسرعة واتجهوا إلى غرفهم تمهيدًا للاستعداد للسفر في اليوم التالي.

قضى الشياطين بقية وقتهم في التحدُّث عن حضارات مصر الفرعونية، وتوفقوا طويلًا أمام سِجِلِّ الملك الصغير «توت عنخ آمون» وترجمتها باللغة العربية «المولود من الشمس» ... التي أطلق عليه الإله «آمون»، وأحيانًا أخرى الإله «رع» والمقصود بها أيضًا «الشمس» ... كان سِجِلُّ الملك الصغير حافلًا بالمعلومات المثيرة؛ فهو أصغر ملوك مصر على الإطلاق؛ إذ لم يتجاوز عمره الحادية عشرة حين تولى السلطة في مصر الفرعونية ... ثم كان الجدال الكبير الذي أُثِيرَ عند موته؛ فهناك قصص تقول إنه مات مسمومًا بيد زوجته الصغيرة، أو بيد المُحيطِينَ به من الكهنة والخدم، وهناك قصص تحكي عن موته الطبيعي ... لكن الشيء المؤكد هو عدم وجود دليل قاطع عن سبب موته.

قال «أحمد» موجِّهًا حديثه إلى الشياطين: إن من أجمل الطرائف فعلًا أن يتم الكشف عن مقبرة «توت عنخ آمون» أو الملك الصغير بواسطة أقدام حصان!

وأكمل «أحمد» حديثه: في عام ١٩٣٤ قام العالم الإنجليزي «كارتر» ببعثة أثرية للتنقيب عن آثار مصر الفرعونية، وأثناء قيامه بتفقُّد إحدى الآثار بمدينة «الأقصر»، ترك حصانه حرًّا طليقًا وتحرَّكَتْ أقدام الحصان الخلفية عشوائيًّا، لتكشف عن وجود فتحة عميقة بأسفل المقبرة الموجود بها الحصان، وسرعان ما توجَّهَ إليها العالِم الشهير «كارتر»، وأمرَ العمال بتوسيع الحفرة التي قادتهم إلى مقبرة الملك الصغير «توت عنخ آمون»، ولشدة ما أدهش «كارتر» والمهتمِينَ بالآثار الفرعونية أن يجدوا مقبرة «توت عنخ آمون» كاملةً، ولم يمسها أحد!

وكانت أمه قد بَنَتِ المقبرة بطريقة غريبة، حتى لا يكتشفها اللصوص، وجعلتها أسفل المقابر العلوية التي تعرضت للسرقة والنهب، بينما ظلَّتْ مقبرة الملك الصغير كما هي ... وهي موجودة الآن بالمتحف المصري، وتُعتبَر محتويات المقبرة الذهبية هي الوحيدة الكاملة من كل مقابر الملوك المُكتشفة.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة حين أنهى «أحمد» حديثه، وشاهد «عثمان» وهو يتثاءب، فمازحه قائلًا: أجاءك النعاس أيها الملك «سويك»؟! فضحك الشياطين، بينما قال «عثمان» وهو يتوجه إلى غرفته: نعم لقد حدث أيها الكاهن «سنفرو».

وانفجر الشياطين في الضحك، وقد اختلطَتْ ضحكاتهم بدقات الساعات الحائطية التي أعلنَتْ عن منتصف الليل، قاموا بعدها جميعًا إلى فراشهم وقد ارتسمَتْ على وجوههم تفاصيل المغامرة التي ستدور في «كالياري» معقل رجال «المافيا» ووكر عصابة «المنتقمون».

المفاجأة!

استيقظ الشياطين — كالعادة — مبكرًا، وسرعان ما انتهوا من تمارين الصباح ليتناولوا طعام الإفطار، ثم يبدءون في إعداد حقائب السفر للشياطين الخمسة «أحمد» و«بو عمير» و«عثمان» و«فهد» و«إلهام» ... ثم قضوا بقية الوقت في مشاهدة أحد الأفلام البوليسية، حتى حانت الخامسة مساءً حين انفتحَتْ بوابة المقر السري العملاقة، ودلفت بداخلها السيارة الميكروباص المجهزة التي ستنقل الشياطين الخمسة إلى المطار.

لم يمضِ من الوقت سوى دقائق معدودة حتى غادر الشياطين الخمسة المقر السري باتجاه المطار. كانت السيارة الميكروباص الزرقاء المُخصَّصة لنقل الشياطين تسير بأقصى سرعة لها، فوصلت إلى مشارف المطار في تمام السادسة إلا ربع ... وسرعان ما أنهى الشياطين إجراءات السفر، وأقلعَتِ الطائرة «الكونكورد» العملاقة في تمام السادسة، وعلى متنها الشياطين الخمسة.

كان «أحمد» يجلس بجانب النافذة، وقد جلس بجانبه «عثمان»، وصاح «أحمد» وهو ينظر إلى السُّحب الكثيرة التي راحَتْ تركض بخفة على صفحة السماء الواسعة، وقد بدَتِ الطائرة «الكونكورد» العملاقة وكأنها واقفة في الفضاء: يا له من مشهد جميل!

قال «عثمان»: نعم ... ثم أكمل: وهذا المشهد يُذكِّرني دائمًا بقانون النسبية لـ «أينشتين».

قال «أحمد»: صحيح ما تقوله يا «عثمان»، إن سرعة الطائرة التي تتجاوز الخمسمائة ميل في الساعة تبدو وكأنها واقفة، لأنه ليس أمامها أشياء ثابتة لقياس سرعتها.

قال «عثمان»: ويحدث هذا أيضًا عندما تكون هناك سيارتان تسيران بسرعة واحدة، فلو نظرتَ من نافذة سيارتك إلى السيارة التي بجانبك وتسير بنفس سرعتك ستشك بأنهما لا تسيران!

قال «أحمد»: إن «أينشتين» هذا عبقري بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ.

انهمك «أحمد» و«عثمان» في نقاش طويل حول قانون النسبية لـ «أينشتين»، فلم يشعرا بالوقت ولا بقية الشياطين الذين راحوا في سُبات عميق.

ساعتين ونصف قضتها الطائرة «الكونكورد» المريحة سمع بعدها «أحمد» و«عثمان» نداء المُضيفة وهي تقول: السادة الركاب، أهنئكم بسلامة الوصول ... نحن الآن فوق البحر «الأدرياتيكي»، وقريبًا سنكون فوق «روما» ... ثم أعادت نفس الكلمات باللغة العربية قبل أن تقولها أيضًا بالإيطالية.

ثم أكملت قائلةً بنفس اللغات الثلاث؛ الإنجليزية والفرنسية والعربية: الرجاء ربط الأحزمة للاستعداد للهبوط، ثم ابتسمَتْ في الوقت نفسه الذي أُضيئَت فيه الشاشة الفسفورية وقد كُتب عليها: «نحن الآن فوق «روما» ... شركة «مصر للطيران» تهنئكم بسلامة الوصول.»

انخفضت الطائرة فجأةً ... فعلم الشياطين بأنها تستعد للهبوط، فأسرعوا بمشاهدة منظر «روما» من الطائرة، كانت أضواء عاصمة «إيطاليا» «روما» تغمر المكان وقد كست الشوارع بلونها الأخضر، وقد ظهرت أيضًا الإعلانات الضوئية المُلوَّنة والتماثيل المنتشرة في شوارع «روما».

قال «أحمد» موجِّهًا حديثه للشياطين: إن «روما» من أجمل مدن العالم، وخاصة من الناحية الأثرية.

قال «بو عمير»: ولعلنا جميعًا لا ننسى كلما جئنا إلى «إيطاليا» رسَّامها العبقري الشهير جدًّا «ليوناردو دافنشي» صاحب أشهر لوحة في العالم «الموناليزا» الفتاة الباكية المبتسمة ... ولم يكد «بو عمير» ينتهي من جملته حتى اصطكت عجلات الطائرة بأرض المطار، واندفعت بأقصى سرعتها، ثم بدأت حركتها تقل شيئًا فشيئًا حتى توقفَتْ تمامًا أمام الصالة الثانية المُحدَّدة لتوقُّفها، هبط الشياطين بالتسلسُل المُتَّفَق عليه، «إلهام» ثم «أحمد» و«بو عمير» ثم «عثمان» و«فهد» واتجهوا إلى صالة الاستقبال.

كانت «إلهام» تنظر في جميع الاتجاهات في محاولةٍ لرؤية «ساندرا»، لكنها لم تكن موجودة.

شارك الشياطين «إلهام» في النظر إلى جميع الاتجاهات دون جدوى، فسرعان ما تلاقَتْ أعينُهم وقد تعلَّقَتِ الدهشة فوقها!

فهذه المفاجأة الأولى التي لم تكن بالحسبان ... بل لعلها المرة الوحيدة طوال مغامراتهم الكثيرة التي لا يجدون فيها مَن يستقبلهم، أو العميل الذي في انتظارهم، وطال البحث عن «ساندرا» دون جدوى.

قال «بو عمير» مخاطبًا «أحمد»: وما العمل الآن؟ ثم أكمل: هل هناك تطوُّر مُعيَّن قد حدث مما جعل «ساندرا» تتغيَّبُ عن لقائنا؟!

قال «أحمد»: ربما قد يكون حدث هذا! ثم أكمل: فلنتوجَّهِ الآن إلى أحد الفنادق ونحاول الاتصال بالزعيم، عسى أن يكون هناك جديد.

قالت «إلهام»: إن حاستي السادسة تنبئني بوجود «ساندرا» ... ربما تكون في انتظارنا في الصالة الأخرى مثلًا.

قال «عثمان»: ولكنها على علم بكل تأكيد بمكان استقبالنا.

فتدخَّل «فهد» في الحديث قائلًا: «فلنُنهِ أولًا إجراءات الخروج حتى لا نلفت الأنظار، على أن تتوجه «إلهام» بصحبة «أحمد» إلى الصالة رقم «١» فربما كانت «ساندرا» هناك بانتظارنا.

وما إن انتهى «فهد» من حديثه حتى توجَّهَ «عثمان» و«بو عمير»، وهو صوب الصالة المُعَدَّة لمراجعة جوازات السفر، بينما توجَّهَ «أحمد» وبصحبته «إلهام» إلى الصالة رقم «١» للبحث عن «ساندرا».

كان الزحام شديدًا في الصالة رقم «١»، لاستقبالها أكثر من رحلة في توقيت واحد ... ودارَتْ عينا «أحمد» و«إلهام» وهو يشير لـ «إلهام» باتجاه فتاة متوسطة العمر سمراء اللون ترتدي ملابس بيضاء وتضع فوق عينها نظارة طبية: هذه هي «ساندرا».

فقالت «إلهام»: ولكن الوردة الحمراء ليست بيدها.

قال «أحمد»: اقتربي منها وقولي لها كلمة السر، وهي شكرًا بالإنجليزية، وسنعرف على الفور إذا كانت هي «ساندرا» أم شبيهة لها.

أسرعت «إلهام» باتجاه «ساندرا»، وما إن اقتربت منها حتى فوجئت بوجود الوردة الحمراء بيدها الأخرى ... قالت «إلهام» وهي تسير بمحاذاتها: «شكرًا» فسارعت الفتاة بتقريب الوردة الحمراء إلى أنفها، ثم ابتسمَتْ وهي تستدير وتغادر المكان، ومن خلفها «إلهام» و«أحمد».

اتجهَتْ «ساندرا» إلى خارج المطار، وخلفها «أحمد» و«إلهام» ... وما إن ظهرَتْ خارجةً حتى اندفعَتْ إليها عربة «ميني باص» بيضاء، مكتوب عليها: «شركة «إنترناشيونال»

للسياحة»، وعليها صعدت «ساندرا»، وتبعها بقية الشياطين الذين كانوا منتظِرينَ خارج المطار، وهم في غاية القلق.

انطلقَتِ العربة «الميني باص» السياحية، لتشق شوارع «روما» المزدحمة بالناس والفسقيات والتماثيل، لم يكن «أحمد» يحسب أنهم يستغرقون كل هذا الوقت لمقابلة «ساندرا» التي لم تتحدث معهم حتى الآن، واكتفَتْ بكلمات الترحيب العادية باللغة الإنجليزية: «مرحبًا بكم في بلدكم «إيطاليا».»

ابتسم الشياطين لها ... فهي برغم صمتها، إلا أن جمالها الهادئ ولونها الأسمر كانا يضيفان عليها كثيرًا من السحر والغموض.

توقَّفَتِ السيارة «الميني باص» أمام أحد الفنادق الفاخرة، ولحسن حظ الشياطين أنه كان فندقَ «إنترناشيونالي»، وهو الفندق نفسه الذي نزلوا فيه أكثر من مرة.

انتهَتْ «ساندرا» من إجراءات السكن، في ثوانٍ معدودة، صعدوا بعدها جميعًا إلى حجراتهم، وقد صحبتهم «ساندرا»، وقالت — بعد أن صارت وحدها معهم: معذرة! تأخَّرتُ عليكم في اللقاء، وغيَّرتُ مكان اللقاء لأسباب ستعرفونها في حينها ... أما الآن فمستر «رودجر» على استعداد تامٍّ لسماع الرقم الذي ستدفعونه مقابل العروسة.

وضحكت «ساندرا» وهي تنظر باتجاه «عثمان» الأسمر البشرة مثلها، ثم قالت: إن مهر العروسة يجب ألا يقل عن مليون ونصف المليون دولار لدخول المنافسة التي بدأت تشتد عليها جدًّا.

قال «أحمد» مخاطبًا «ساندرا»: متى نتصل بوالد الفتاة؟

أجابت «ساندرا»: ليس والدها بالتحديد ... يمكنك الاتصال به الآن، فهناك رجال كثيرون ستأخذ رأيهم أولًا ... ثم يدرسون عرض الزواج ... وهل أنتَ جادٌّ فيه أم لا؟

ابتسمَتْ «إلهام» وهي تستمع إلى كلمات «ساندرا»، وتأمَّلَها «بو عمير» قبل أن ينفجروا جميعًا في الضحك مع قفشة «عثمان» حين قال: لقد جئنا اليوم إلى «إيطاليا» للزواج — للأسف — من أموات!

غادر «أحمد» الفندق بصحبته «ساندرا» التي توجَّهَتْ به إلى حيث وقفَتْ عربتها «الستروين» الفاخرة ... ومن داخلها تم الاتصال تليفونيًّا بالعميل.

وكان من الواضح أن «ساندرا» تعرف الكثير عن الرجل الذي أخذ يُحدِّثها لبضع دقائقَ أنهاها قائلًا: أعطيني إياه.

جاء صوت الرجل غليظًا قويًّا ... قال لـ «أحمد»: إن سعر العروسة قد وصل إلى مليونَينِ من الدولارات دكتور «مارك»، ثم أكمل: ألا تعرف هذا؟ فأجاب «أحمد» بلغة الواثق: لا بأس ... ولكن متى سنشاهدها قبل أن نتفق؟

قال الرجل: إن آخِر إجراء تتخذه هو رؤية العروسة ... ثم ضحك ضحكة مُخيفة ظهرَتْ من خلال نبرات صوته المتوحشة عَبْر الهاتف، ثم أكمل: ليس لدينا وقت لنضيعه ... متى سنلتقي؟

قال «أحمد»: وقتما تريدون ... إنني على أهبة الاستعداد، ونقودي جاهزة ... فقط أريد رؤية العروسة.

فقال الرجل: ستراها ... دكتور «مارك»، إلى اللقاء قريبًا. ... ووضع سماعة التليفون.

قالت «ساندرا» وهي تأخذ الهاتف اللاسلكي من «أحمد»: ما عليك يا دكتور «مارك» أن السيد «رودجر» يسوق الدهاء والمكر ... ثم أكملت «ساندرا»: وسيكون اللقاء معه غدًا، فكونوا في حالة استعداد كاملة لذلك.

انطلقت «ساندرا» بعربتها «الستروين» باتجاه الفندق، وهناك ودَّعَتْ «أحمد» وهي تقول: إلى اللقاء.

استدارت لتنصرف في نفس الوقت الذي صعد فيه «أحمد» إلى الفندق، ورأسه يمتلئ بالأفكار.

الكمين!

عندما عاد «أحمد» إلى الشياطين بالفندق كانت الساعة تشير إلى الواحدة صباحًا بـ «روما» فخلد الشياطين للنوم.

بعد أن أطلعهم «أحمد» بما دار بينه وبين مستر «رودجر» عَبْر الهاتف اللاسلكي الذي تمتلكه «ساندرا» بسيارتها.

قال «بو عمير» وهو يتأهَّبُ للنوم: هل ستكون معنا النقود؟

قال «أحمد»: بكل تأكيد لن تكون معنا. وأكمل: «إن «إيطاليا» قد يحدث بها أيُّ شيء، وكلُّ شيء ... لا تنسَ أن لقاءنا بمستر «رودجر» سيكون بـ «كالياري»»، فضحك «بو عمير» وهو يقول: لقد كان الفريق المصري الذي وصل إلى كأس العالم عام ١٩٩٠ يلعب في هذه المدينة.

ابتسم «أحمد» وقال لـ «بو عمير»: شكرًا لك ... ولكننا الآن مع مستر «رودجر» الذي قد يكون وهميًّا!

فاتسعَتْ عينا «بو عمير» دهشةً لكلمات «أحمد»، ثم قال: تقصد «ساندرا؟! قال «أحمد»: لا ليس «ساندرا»، ولكن قد يكون رودجر هذا يلعب لحساب نفسه، دون أن تكون له أية صلة بالمومياء المسروقة!

قال «بو عمير»: ولكن من أين حصل على معلومات بسعر المومياء أو العروسة كاسم حركي لها؟

قال «أحمد»: إن وسائل الحصول على هذه المعلومات كثيرة، وهو أمر سهل بالنسبة لهؤلاء.

قال «بو عمير»: وما الحل إذن؟

أجاب «أحمد»: سيكون اللقاء بهم غدًا وهميًّا أيضًا ... واتجها إلى فراشهما ليَغُطَّا في نوم عميق حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي.

عندما استيقظ الشياطين من نومهم كانت هناك رسالة بانتظارهم، وكانت كلمات الرسالة تقول: «كونوا مستعِدِّينَ بعد نصف ساعة» ... والتوقيع أسفل الرسالة بحرف «س» بالإنجليزية.

سارع بعدها الشياطين بالاغتسال وارتداء ملابسهم، وما إن دقَّت الساعة لتعلن التاسعة صباحًا حتى سمعوا جميعًا طَرْقًا على باب حجرتهم، وسرعان ما شاهدوا «ساندرا» السمراء وهي تدخل من الباب وتُلقي عليهم تحية الصباح، قبل أن تدعوهم بسرعة لمرافقتها إلى أسفل الفندق، حيث تنتظرهم سيارتان مُجهَّزتان لنقلهما إلى «كالياري»؛ تلك المدينة الجميلة والمُخيفة في الوقت نفسه!

غادر الشياطين «روما» في تمام الحادية عشرة صباحًا متوجِّهِينَ إلى «كالياري» بصحبة «ساندرا» ... وكان الشياطين منقسِمِينَ على سيارتَينِ، إحداهما «بيجو»، والأخرى «الستروين» التي تمتلكها «ساندرا»، وقضَتِ السيارتان ثلاث ساعات من السير المتوسط حتى وصلت إلى مشارف «كالياري».

قالت «ساندرا»: سيكون اللقاء مع «رودجر» اليوم في السابعة مساءً ... وسنكتفي في المرة الأولى بلقاء أحدكم معه ... بعدها سينتهي دوري؛ فلستُ على استعداد لدفع حياتي ثمنًا لأي شيء مَهْمَا بلغَتْ أهميته ... وابتسمت «ساندرا» وهي تكمل حديثها: معذرة، لم أشأ تخويفكم، فقط حاولت أن أذكِّركم بالحقيقة ... فدوري ينتهي فعلًا بعد لقائكم مع «رودجر»، وتحديد وقت التسليم والتسلُّم بالنسبة للعروسة والنقود.

ابتسمَتْ «إلهام» وهي تقول لها: ألن تحضري حفل زفاف العروسة؟ وشاركها «عثمان» القول وقد أدخلَ عليه المزاح بقوله: أمْ إنَّ العريس لا يعجبك؟ وأشار إلى نفسه.

كانت السيارتان قد وصلتا إلى «كالياري»، وكان بالسيارة الأولى التي تقودها «ساندرا» «أحمد» و«إلهام» و«عثمان»، بينما كانت السيارة الأخرى «البيجو» التي يقودها شاب إيطالي أشقر، ذو شعر أصفر طويل — برغم أن معظم الإيطاليِّينَ يميلون إلى اللون الأسمر والشعر الأسود — وكان يجلس معه «بو عمير» و«فهد».

وقد دار حوار طويل بينهم، كان الشاب الإيطالي ويُدعى «تشاينر» لَبِقًا في الحديث، وقد ذكر للشياطين بأن والدته ألمانية الجنسية، بينما أبوه إيطالي، ثم ذكر أيضًا أنه يعمل سائقًا لدى السيدة «ساندرا» منذ فترة قريبة لم تتجاوز ثلاثة أشهر ... ثم حدَّث الشياطين عن «كالياري» وصِلتها برجال العصابات، وخاصة رجال «المافيا».

قال «فهد» مخاطبًا «تشاينر»: هل جئتَ إلى «كالياري» كثيرًا؟

فابتسم «تشاينر» وهو يقول: بكل تأكيد، زُرتها أكثر من مرة، ولكني لم أمكث فيها طويلًا ... وسكت «تشاينر» وهو ينحرف بالسيارة يمينًا، ويتبع عن قربٍ سيارة «ساندرا» «الستروين» الزرقاء، قال «تشاينر»: إن من الصعب فعلًا في قيادة السيارات بإيطاليا في الطرق السريعة؛ فالحوادث هناك على أَشَدِّها، ونادرًا ما يمضي يومٌ دون أن يقع فيه أكثر من حادثة، وخاصة الطرق السريعة التي تربط مدن إيطاليا ببعضها، مثل طريق «روما» و«نابولي» ... وانحرفَتِ السيارة «الستروين» الزرقاء التي تقودها «ساندرا»، ومعها «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» ناحية اليسار من تمثال السيدة «العذراء»، الذي يتوسط قلب «كالياري»، وأمام منزل صغير، ولكنه في غاية الأناقة، توقفَتِ السيارة ومن ورائها السيارة «البيجو» التي يقودها «تشاينر»، ومعه «بو عمير» و«فهد».

هبط الشياطين جميعًا وتقدمَتْ «ساندرا» صوب المنزل وهي تقول بالإنجليزية: تفضلوا ... مرحبًا بكم في «كالياري».

وأدارت «ساندرا» المفتاح بالباب، وسرعان ما انفتح، ودخلت «ساندرا»، وتبعها الشياطين ... كانت الشقة مُؤثَّثة بأثاث فاخر جدًّا، ولكنَّهُ قديم، وهذا يعكس وضع الأسرة التي تمتلك هذه الشقة.

قالت «ساندرا» وهي تفتح أبواب الشقة، وتدعو الشياطين لرؤيتها وترتيب حقائب السفر: إنكم ستمكثون بالمنزل حوالي ثلاثة أيام، ستلتقون خلالها بالسيد «رودجر»، وفور انتهائكم من إجراء الصفقة — أقصد صفقة العروسة — سيكون كلُّ شيء مُعَدًّا لعودتكم بها، ولكن لن أكون موجودة أثناء لقائكم اليوم بالسيد «رودجر».

قال «أحمد»: وما المانع في وجودك معنا حتى مغادرتنا «كالياري»؟

أجابَتْ «ساندرا»: هذا أمر خاص بأمنكم فقط، ولكم أن تعرفوا أن معظم رجال العصابات يعرفونني جيدًا ... ثم نظرَتْ «ساندرا» إلى بقية الشياطين، فأومَئُوا برأسهم علامةَ الفهم والموافقة ... في نفس الوقت الذي ابتسم فيه «تشاينر» وقال: أي مساعدة أخرى مِسِزْ «ساندرا»؟

قالت له «ساندرا»: شكرًا «تشاينر»، ولكنك سترافق (وأشارت إلى الشياطين حتى انتهاء إجازتهم وسفرهم إلى بلادهم)، فابتسم «تشاينر» وهو ينحني إلى الأمام ثم قال: «إن ذلك يُسعدني جدًّا مِسِزْ «ساندرا».

كانت الساعة تقترب من الخامسة مساء حين جلس الشياطين ومعهم «ساندرا» و«تشاينر» حول فطائر البيتزا الإيطالية ليتناولوا طعام الغذاء ... وأخذوا يتحدثون عن

«إيطاليا» من ناحية الآثار والمعتقدات الدينية، حتى اقتربت الساعة من السادسة والنصف، فاستعد «أحمد» للقاء مستر «رودجر» أو العميل بصحبة «ساندرا» ... بينما أمسكَتْ «ساندرا» بجهاز التليفون اللاسلكي وضغطَتْ على عدة أزرار، ثم جاء صوت أحد الرجال قائلًا: إننا في انتظارك مِسِزْ «ساندرا» ... برجاء إحضار النقود. فأجابت «ساندرا»: معلوم مستر «رودجر» إلى اللقاء.

كان «أحمد» في تلك الأثناء قد استعد لمقابلة «رودجر» بصحبة «ساندرا»، وقد ثبَّتَ بعض الأجهزة الدقيقة في أماكن متفرقة من جسده؛ ليستطيع الشياطين تتبعه في أي مكان لو حدث وأُسِرَ لأي ظرف من الظروف، أو اختطفَهُ أحد.

في تمام الساعة السابعة تحرَّكَتِ السيارة «الستروين» تقودها «ساندرا» وبجانبها جلس «أحمد» ومعه حقيبة جلدية بها بعض الأوراق النقدية من فئة الـ ١٠٠٠ دولار.

قال «أحمد» لـ «ساندرا»: أتعرفين حقيقة ما يجري الآن؟

قالت «ساندرا»: أعرف شيئًا واحدًا ... وهو الهدف الذي نحن ذاهبون إليه ... ثم أقوم بعد ذلك بتقديم أية مساعدة تطلبونها ما دامت بوسعي وأستطيع أن أفعلها ... ثم أكملت «ساندرا»: لا تكن قلقًا بشأن إجراءات التفتيش الدقيقة التي تجرى عليك فور دخولك لمقابلة مستر «رودجر»، فقال «أحمد»: لا بأس ... على ألا تكون أكثر من اللازم.

انحرفت السيارة «الستروين» يمينًا من شارع «الحرية» الطويل الذي يتوسط «كالياري»، ثم توقفَتْ أمام منزل من طابقَينِ، تحيط به أشجار ضخمة من كل جانب، وسور عال يرتفع إلى أربعة أمتار وفوقه الأسلاك الشائكة.

قالت «ساندرا» وهي تنظر إلى المنزل: إنها قلعة وليسَتْ منزلًا ... واقتربت «ساندرا» وبصحبتها «أحمد» باتجاه الباب الذي انفتح تلقائيًّا بشكل أوتوماتيكي، وبداخله وقف عدد من الحراس أحنَوْا جميعًا رءوسهم لـ «ساندرا» تحيةً لقدومها، بينما اقترب أحدهم — وكان عملاقًا — من «أحمد»؛ ليقوم بتفتيشه، وانحنى الرجل لتفتيش «أحمد» في الوقت الذي صدرَتْ فيه صرخة عالية أتَتْ من اتجاه المنزل من الداخل.

اندفع الحراس جميعًا لمعرفة السبب ... بينما وقف «أحمد» ومعه «ساندرا» لحظات دون حركة وقد ارتسمَتْ علامات التعجُّب على وجهَيْهما.

تُرى ماذا حدث بداخل القلعة؟!

وكيف حدث هذا بمجرد دخولهما؟!

نظر «أحمد» خلفه، فشاهد الباب العملاق وهو ينغلق أوتوماتيكيًّا والسور العالي، الذي يحيط بالقلعة من كل جانب ... وقال مخاطبًا «ساندرا»: أعتقد أنه لا مفر! فأومأَتْ «ساندرا» موافقة، في الوقت نفسه الذي تعالَتْ فيه الصرخات الآتية من الداخل.

مارك وصموئيل وجهًا لوجه!

كانت الصرخات التي تنبعث من داخل المنزل أو القلعة هي كل ما يُقلق «أحمد» في تلك اللحظة ... تُرى ماذا حدث بالداخل؟!

كانت «ساندرا» هي الأخرى في غاية الاستغراب، وأخذَتْ تنظر لـ «أحمد» وفي عينَيْها بريق التساؤل!

بعد عشر دقائق من الحيرة المتناهية ظهر الحراس من جديد على درجات المنزل، وتوجهوا إلى «أحمد» و«ساندرا» وصاحوا قائلِينَ: معذرة ... مستر «صموئيل» بانتظاركم الآن.

ووقعت الكلمات على أذن «أحمد» و«ساندرا» وقوع الصاعقة؛ فالمقابلة كانت مع «رودجر» أحد أعوان «صموئيل» قائد عصابة «المنتقمون»، وشعر «أحمد» بأن هناك شيئًا ما يُدبَّر له ... فتباطأ قليلًا وهو يدخل المنزل وبجانبه «ساندرا» كان المنزل من الداخل شديد الغرابة؛ فكل جدرانه من المرايات الكبيرة ... فما إن تدخل حتى ترى كلَّ ما يدور بالمنزل وبخارجه بسهولة كبيرة، فضلًا عن تأثير المرايا الغريبة على الأشخاص؛ فهي عادةً ما تصيبهم بالدوار أو عدم التركيز.

أغلق «أحمد» عينَيهِ قليلًا ... قبل أن يقوده أحد الحراس ومعه «ساندرا» إلى غرفة جانبية ... جلس فيها الزعيم «صموئيل» في المنتصف، وما إن دخل الحارس عليه ليبلغه بمجيء «أحمد» و«ساندرا» حتى صاح بلهجة حادة: مرحبًا ... أحضرتم النقود؟

كان «صموئيل» حاد النظرات، وحاد الذكاء أيضًا ... رمق «أحمد» بنظرة ارتياب قبل أن يسأله: دكتور «مارك»؛ ما جنسيتك؟ ثم هل أحضرتم النقود؟

وكرَّر التحديق في «أحمد» ثم «ساندرا».

قال «أحمد»: إن هذا ليس اتفاقًا بل تعذيبًا ... إنني أعترض على هذه العملية وقد صرفتُ النظر عن شراء العروسة أو المومياء.

فضحك «صموئيل» ضحكة مُخيفة وقال: إنك يا دكتور «مارك» لست دكتورًا ... ثم توالَتْ ضحكاته، ونظر إلى «ساندرا» ليرى وقع المفاجأة عليها ولكنها كانت متماسكة ... فقال «صموئيل» موجِّهًا حديثه لـ «أحمد»: أتفهمني يا مستر «أحمد»؟ (قالها بالإنجليزية)، وشعر «أحمد» على الفور أن الموضوع سيئ جدًّا ويحتاج إلى تصرُّف فوري قبل أن يُعذَّب. فمن الواضح أن «صموئيل» يهوى عملية التعذيب، وأن الصراخ الذي أتى من المنزل في أثناء وقوفه مع «ساندرا» في الخارج لم يكن إلا بسبب الآلام التي لاقاها «رودجر» قبل قتله.

تقدَّم «أحمد» إلى الأمام متظاهرًا بالهدوء، وقال مخاطبًا «صموئيل»: أتسمح لي بالجلوس كي نستطيع التفاهم؟ وتظاهر بالجلوس، في الوقت نفسه الذي اندفع فيه باتجاه «صموئيل»، ولأشد ما كانت دهشة «ساندرا» أن يُفتح السقف ويختفي «أحمد» في لمح البصر! بينما وقفَتْ هي مشدوهة لا تدري ماذا تفعل في هذه اللحظات!

كانت المفاجأة شديدة بـ «أحمد» فقد وجد نفسه في بدروم قذر، به بقايا جثث آدمية برائحتها الكريهة ... وفجأةً انفتح السقف مرة أخرى ليسقط شيء آخَر، ظنَّه «أحمد» «ساندرا»، ولكن فوجئ بأنه شخص آخَر، كان «رودجر»، ولكنه كان ميتًا من أثر التعذيب الذي ظهر على وجهه وعلى عينَيْهِ.

صُعق «أحمد» ممَّا رأى! ولكن ما العمل إذن وسط هذا البدروم؟! جلس «أحمد» في أحد الأركان وأخذ يفكِّر بهدوء في كيفية التصرُّف ... وماذا سيفعل الشياطين أمام هذه التطورات الغريبة؟

فكيف عرفه «صموئيل»؟ وكيف اكتشف خيانة «رودجر»؟ وما دور «ساندرا» بالتحديد؟ وهل هي ساندرا الحقيقية، أم هي شبيهة لها أتقنَتِ الدور تمامًا؟!

كان عقل «أحمد» يعمل بسرعة، فأخرج أحد الأجهزة الحساسة جدًّا وأرسل رسالة شفرية عاجلة إلى الشياطين قال فيها: «الأمر مخيف جدًّا ... غيِّروا مكانكم أولًا قبل أن تفكِّروا كيف تتصرفون ...»، ثم كانت الكلمات الأخيرة «أنا الآن بدون أجنحة، ولا أقوى على الطيران.»

كانت رسالة «أحمد» الشفرية كافية للشياطين بأن يتركوا المكان فورًا، وينتقلوا إلى مكان آخَر ... وهم في غاية الذهول ... فكيف حدث هذا؟ لا أحد يعرف!

قالت «إلهام» بلهجة عصبية: لا بد من التحرُّك فورًا.

قال «بو عمير»: لا تتعجلي يا «إلهام» إن الأمور تشابكَتْ فجأةً على نحو غريب.

فتدخل «فهد» قائلًا: إن «ساندرا» هي العميل المزدوج الذي أوقع بـ «أحمد».

قالت «إلهام»: لقد كان بمقدورها أن توقعنا جميعًا ... فلماذا اختارت «أحمد» بالذات؟!

فجأةً صاح «عثمان»: إن «ساندرا» التي قابلتنا ليست «ساندرا» الحقيقية! ولعل التي قامت بهذا الدور شبيهة لها ... وأكمل «عثمان»: إن «ساندرا» الحقيقية وقعَتْ في أسر عصابة «المنتقمون» بطريقة أو بأخرى، وعرفوا منها كل التفاصيل الخاصة بنا ... فجاءوا بفتاة شبيهة لها لتقوم بالدور نفسه.

قالت «إلهام»: وهذا يجعلني أكرِّر تساؤلي: لماذا لم توقعنا جميعًا في قبضة «المنتقمون»؟! ولماذا اختارت «أحمد» بالذات؟!

قال «فهد»: لعلها فعلَتْ ذلك كنوع من الخداع حتى لا ينكشف أمرها لنا بسهولة.

فأومأ «بو عمير» برأسه موافقًا على كلام «فهد»، ثم قال: لقد حان وقت التحرُّك الآن قبل أن يهاجمونا.

كان «أحمد» في تلك الأثناء لم يزل بداخل البدروم القذر المليء بالبقايا الآدمية، وفجأةً انفتح السقف مرةً أخرى وأُلقِيَتْ جثة مرةً أخرى منها ... وذُعر «أحمد» مما يرى؛ فالواضح أن «صموئيل» يتخلص من أيِّ أحد يشك فيه بالقتل، وهذا ما سيفعله معه بكل تأكيد ... وقف «أحمد» وظل يقطع غرفة البدروم وهو يفكِّر في كيفية التصرُّف، وفجأةً فُتحت إحدى الحوائط الجانبية، ودخل ثلاثة رجال البدروم ليقتادوا «أحمد» إلى حيث جلس «صموئيل» زعيم عصابة «المنتقمون».

قال لـ «أحمد»: لا أريد أية مراوغة، لقد انكشفتم، وزملاؤك الآن في الطريق إلينا ... مَن أنتم؟ ولماذا تريدون خداعي؟

فكَّر «أحمد» قليلًا قبل أن يُجيب: إن معي النقود التي سنشتري بها المومياء، ومدَّ الحقيبة الجلدية قائلًا: وهذه النقود دفعة أولى قبل استلامنا المومياء ... ثم أكمل: نحن جهة طبية نريد الحصول على المومياء لإجراء التجارب عليها لمعرفة سر قدماء المصريِّينَ في التحنيط.

ضحك «صموئيل» ضحكةً مرعبة وضغط على زر صغير أمامه فانزاحت إحدى الستائر وظهرت مجموعة من التماثيل والقطع الأثرية، وقال «صموئيل» وهو يشير لها: ألا تريدون شراء هذه القطع النادرة؟ ثم توالَتْ ضحكاته وهو يقول: لتسرقوها وتعيدوها

مرة أخرى إلى بلادكم، ثم أشار إلى أحد الحراس الذين يقفون خلف «أحمد» إشارة لها معنى، وغاب الحارس قليلًا، ثم عاد وهو يحمل شيئًا ملفوفًا بعناية شديدة، ووضعه أمام الزعيم «صموئيل» الذي قام بكشف الغطاء عنه، فظهرت المومياء المصرية ... كانت ساكنة وملامحها الصغيرة دلَّتْ على سنوات عمرها.

قال «صموئيل»: أتريد أن تشتري هذه؟ وضحك ضحكته المجنونة ثم أكمل: إني سأقوم بتجربة التحنيط عليك الآن بواسطة أعواني الأطباء ... لكي يكون عندنا اثنتين من المومياء بدلًا من واحدة.

كان من الواضح أن «صموئيل» يسخر من «أحمد» ويتوعده، وفجأةً دوَّى صوت صفير حاد، تَبِعَتْهُ عدة طلقات نارية، فاندفع الحراس تلقائيًّا باتجاه الأصوات، بينما ظل «أحمد» بمفرده مع «صموئيل» ... وانتهز «أحمد» الفرصة فاندفع باتجاه «صموئيل» الذي شَلَّتْه المفاجأة، واشتبك مع «أحمد» في صراع عنيف.

كان «صموئيل» برغم تقدُّمه في العمر قويَّ الجسم، مفتول العضلات، فأطبق على «أحمد» بقوة، وشعر «أحمد» باختناق شديد، فاستجمع قوته وأطلق قدمه اليسرى ليتخلص من مسكة «صموئيل»، فتوجع لها، وترك «أحمد» قليلًا، فاستغل «أحمد» الموقف وعاجله بضربة أخرى شديدة، فتركه «صموئيل» ليصبح «أحمد» حرًّا طليقًا، فانهار بوابل من الضربات على «صموئيل» الذي احتملها بشكل غريب، ثم عاجلَ «أحمد» بضربة قوية، ثم أسرع «أحمد» نحو مكتب «صموئيل» وضغط على زر صغير به، وسمع صوت «صموئيل» وهو يقول: «أرجوك لا تفعل!» لكن السقف كان قد انفتح وسقط «صموئيل» منه بأسفل البدروم ... في الوقت نفسه الذي أمسك فيه «أحمد» بمسدس «صموئيل»، وحمل المومياء بين يدَيهِ ووضعها على المكتب.

في تلك الأثناء كان بقية الشياطين قد اشتبكوا مع الحراس، كان القتال عنيفًا؛ فقد كان الحراس في منتهى القوة وعلى أعلى مستوى من التدريب، وكان عنصر المفاجأة قد أصابهم جميعًا فلم يقووا على فعل شيء.

كان «عثمان» قد اشتبك مع واحد من الحراس، وكان في غاية القوة، فانهال على «عثمان» ضربًا وأخذ «عثمان» يتحاشى ضرباته القوية ... إلى أن أُتيحَتْ له الفرصة، وابتعد عنه ليخرج كرته الجهنمية ويسددها كالمدفع إلى الحارس الذي وقع على الأرض بلا حراك، فالتقط «عثمان» كرته وسددها نحو آخَر كان مشتبكًا مع «فهد» في قتال عنيف.

حسم الشياطين المعركة، في الوقت نفسه الذي فوجئوا به بـ «أحمد» وهو يهبط عليهم من الطابق الثاني حاملًا المومياء بين يدَيهِ، وصاح مخاطبًا «فهد»: احمل هذه المومياء

وتوجَّهْ بها إلى خارج القلعة. ثم نادى على «عثمان» و«بو عمير» و«إلهام» فاندفعوا إليه بسرعة ... وأزاح «أحمد» الستارة الضخمة، ليكشف عن مجموعة من الآثار النادرة ... لـ «ست نفرت» زوجة «رمسيس الثاني» أعظم ملوك مصر، وتمثال آخَر صغير من الجرانيت للإله «حتحور»، ومجموعة أخرى نادرة من القطع الأثرية، ومجموعة أخرى من الأوباش أو الخدم عند ملوك مصر الفرعونية.

وبسرعة قام الشياطين بحمل هذه الآثار ووضعوها في حقيبة جلدية، وتوجهوا بها خارج المنزل، وسرعان ما استقلوا السيارة باتجاه المطار ... وعلى الفور تم حجز أماكن لهم في طائرة شركة «مصر للطيران» التي سهَّلَتْ مهمتهم لتغادر الطائرة مطار «روما» الدولي، وعلى متنها الشياطين، ومعهم المومياء الصغيرة، لينهوا مهمتهم على أكمل وجه، ولكن دون أن يتوصلوا إلى حقيقة «ساندرا» الفتاة السمراء ... وقصة اكتشاف أمرهم ... والتي ستعرفها خلال المغامرة القادمة.

هنـــداوي